قدم العالم وحدوثه عند الفارابي

إعداد

الباحثة / دينه نبيل جاد الكريم عبده

باحثة ماجستير في الآداب تخصص الفلسفة

كلية الآداب- جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٢/٦/١٩م

تاريخ القبول : ٢٠٢٢/٧/٥م

الملخص:

رغم أن الفارابي فيلسوف مسلم إلا أن تصوره للعالم لم يكن تصورًا إسلاميًا خالصاً بل كان مزيج من الفكر اليوناني والفكر الإسلامي لكن غلب عليه التصور اليوناني وخصوصًا التصور الأفلوطيني بخصوص نظرية الفيض وكيف أن العالم فاض عن الله، فقد أثبت الفارابي بعدد من الأدلة وجود الله وأعطاه صفات الكمال التي تؤهله لأن يفيض عنه العالم فكان التسليم بوجود الله له بعد إسلامي أما فيضان العالم عن الله فقد كان أثرًا لليونان في فكره بل كان الفارابي على حد تعبير (فورمسي) هو أول من أدخل مذهب الصدور في الفلسفة الإسلامية وقد مزج الفارابي في نظرية الفيض بين تصور أفلاطون وأرسطو من ناحية وتصور أفلوطين من ناحية أخرى فالعالم فاض عن الله، وبالتالي فالعالم قديم قدم الذات التي فاض عنها، ولكن هذا الفيض تم من خلال عملية تسلسل من الأول وحتى الوجود الحادي عشر، فالعالم إذن تابع لله من خلال العقل الفعال، وهنا يستخلص الفارابي أن العالم فاض عن الله كما يفيض النور عن الشمس. وفيما يلي سوف نعرف أهم آراء الفارابي في تصوره للعالم.

Abstract:

Although Al-Farabi was a Muslim philosopher, his conception of the world was not a purely Islamic conception. Rather, it was a mixture of Greek and Islamic thought, but the Greek conception prevailed over him, especially the Platonic conception regarding the theory of emanation and how the world overflowed from God. The perfection that qualifies him for the world to flow from him was the acceptance of the existence of God with an Islamic dimension. As for the flood of the world from God, it was an effect of Greece in his thought. Rather, Al-Farabi, according to (Formasi), was the first to introduce the doctrine of breasts in Islamic philosophy. Al-Farabi mixed in the theory of emanation between Plato and Aristotle's conception on the one hand and Plotinus' conception on the other hand, the world overflowed from God, and therefore the world is as old as the self that overflowed, but this effluent took place through a sequencing process from the first to the eleventh being. Al-Farabi that the world overflows from God as light overflows from the sun. Even if it appears to some that Al-Farabi was hesitating between occurrence and immortality regarding the world, but from careful reading of the texts and comments of Al-Farabi, it becomes clear to us beyond any doubt that Al-Farabi is one of the Muslim philosophers who say the world is old. What is linked to the ancient in its existence is necessarily ancient, so the first intellect flowed from God directly, then the rest of the intellects overflowed from it, even the lowest of the existents, and this is the chain of hearts in which Al-Farabi believed.

مقدمة:

لا يقل الفارابي شأنً عن فيلسوف العرب الكندي وخصوصًا أن الفارابي كان قد اهتم كثيرًا بالفلسفة والمنطق وقد كان لنقلة التراث الفلسفي اليوناني إلى العربية كان له الدور الأكبر في إثراء الفكر العربي والإسلامي، رغم أن الفارابي كان محب للعزلة يعيش حياة أشبه بالزهاد والصوفية إلا أن ذلك لم يمنعه في أن يقدم لنا رؤية متكاملة عن الكون والوجود في فلسفته فقد أثرى الفكر الإسلامي بعدد كبير من المؤلفات سنتعرف عليها لاحقاً وقد كانت فلسفته الفارابي من النوع التوفيقي لأنه فيلسوف عربي ومسلم وفي نفس الوقت كان شغوفًا بفلسفة اليونان وهذا ولد لديه رغبة قوية في عملية التوفيق التي سيكون هو رائدها إلى جانب أنه تاثر بالفكر اليوناني وتصوره للعالم وبخاصة نظرية الفيض والصدور عند أفلوطين مع تصور أفلاطون وأرسطو عن قدم الماده التي تكون منها هذا العالم.

الفارابي (٢٦٠هـ) :

حياته وفلسفته:

ولد فيلسوفنا الكبير " محمد بن محمد بن طرخا أبو نصر الفارابي في بلده وسيج، وهي تقع في إقليم فاراب ببلاد الأتراك. ولهذا فأن فيلسوفنا ليس عربيًا، في نشأته وولادته وإنما هو تركي مسلم".(١)

قدم الفارابي فلسفة إسلامية نابعة من رغبته المهمة في التوفيق بينها وبين الفكر الفلسفي اليوناني حيث جاءت فلسفته متشابهة في جزء كبير منها بالفكر الفلسفي الأرسطي والأفلاطوني وفي نفس الوقت لم تخرج عن طابعها الإسلامي المعروف ولهذا يرى البعض "كان هذا الفيلسوف الكبير مفكرًا شديد التدين، ميالاً إلى الزهد والتقشف. عاش حياة بسيطة بعيدة عن التكلف حتى إنه كان يتزينا بزي أهل التصوف، وكان يستأنس لسماع الموسيقى كما كان هو عازفًا مرموقًا ... لم تكن المحاولة التي قام بها للتوفيق بين أفلاطون وأرسطو مجرد تفاعل سطحي بالأمور، كذلك لم تصدر نزعته

التوفيقية بين الفلسفة والدين عن بساطة وقصر نظر، يبدو أن هناك شعورًا راسخًا بأن الحكمة عرفت طريقها إلى الوجود عند الكدانيين في بلاد ما وراء النهرين ثم إلى مصر فاليونان، فرأي أنه من الواجب إعادة الحكمة إلى أرضها."[٢]

وهذا هو السبب الذي جعل الدكتور بدير عون يقول عنه " يعد المعلم الثاني من أوائل الفلاسفة الذين أسسوا الاتجاه الأفلاطوني المحدث في الفلسفة الإسلامية وثبتوا قواعده، فنحن نعلم أن الفارابي كان بطبيعته ميالاً إلى الزهد والعزلة والتأمل ومن هذا شأنه كان لابد له أن يتابع الأفلاطونية المحدثة في اتجاهها الذي يرفع من شأن النفس على حساب البدن".[٣]

وبالتأكيد ظهرت محاولات الفارابي الجادة بخصوص التصور اليوناني والتصور الإسلامي بوضوح في كتابه (الجمع بين رأى الحكيمين) أفلاطون وأرسطو لهذا سوف نلاحظ لاحقًا في تصوره لله والعالم والنفس إنه قد حاول أن يخرج بالتصور الأمثل الذي لا يلغي التصور اليوناني ولا يتعارض مع النص الإسلامي وفلسفة الفارابي من الفلسفات ذات المعالم الواضحة والأهداف المحددة، ترتبط أجزاؤها بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا، بحيث تبدو منسجمة متناسقة، فلئن كان المعلم الثاني " أرسطو ليس في المنطق والطبيعيات، أفلاطونيًا في الأخلاق والسياسة، أفلوطينيًا في فلسفة ما بعد الطبيعة (فهو) قبل كل شئ فيلسوف الانتقاء والتوفيق والمؤمن بوحده الفلسفة، المدافع عنها في كل حال."[٤]

وعلى كل حال فإن فلسفة الفارابي كان لها منبعين الأول المنبع الإسلامي والذي تمثل في عقيدة الفارابي المؤمن بالقرآن والسنة والمنبع الثاني هي الفلسفة اليونانية بشقيها الأفلاطوني والأرسطي ثم جاء بعدهما الأفلوطيني ومن هذين المنبعين رسم لنا الفارابي تصور عن الله والعالم والنفس ولهذا فأن تصور الفارابي عن الله سيكون هو الانطلاقة الكبرى لفهم تصوره عن النفس والعالم. " إلى جانب اشتغاله بالفلسفة كانت تغلب عليه

أحيانًا نزعة التصوف، ولهذا نجده يقول في رسالة الفصوص " أن لك منك غطاء فضلًا عن لباسك من البدن، فأجهد أن تتجرد فحينئذ تلحق، فلأ تسأل عما تباشره. وإن ألمت فويل لك وإن سلمت فطوبى لك. وأنت في بدنك كأنك لست في بدنك، وكأنك من صقع الملكوت، فترى مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"(٥). وتتضح من خلال هذا النص الذي ذكره الفارابي نزعته التوفيقية بين الدين والفلسفة كما تتضح معالم الدين عنده على الطريقة الصوفية " أن الفارابي يبين وجود الله على دليلين: أحداهما، هو المعروف به والمشهور عنه فهو دليل: دليل الوجوب والإمكان، وهو الدليل الذي أخذه عنه ابن سينا، واشتهر به الفلاسفة من بعد الفارابي....أما الدليل الثاني فهو دليل الإتقان في صنع هذا العالم والعناية به."(٦)

وقبل العرض لهذين الدليلين نتعرف معًا على بعض المصطلحات التي لا يستقيم البحث إلا بها وخصوصًا أن الفارابي يعتقد العقيدة الإسلامية التي تؤكد أن الله هو الأول الواحد الذي لا يسبقه شئ فهو الخالق لكل ما دونه من موجودات ومن هذا المنطلق نتعرف على بعض هذه المصطلحات ومنها:

الواجب:

"هو ما تقتضي ذاته وجوده اقتضاءًا تامًا، أو ما يستغني في وجوده الفعلي عن غيره وهو مرادف للضرورى، إلا أنه يطلق في بعض الأحيان على ما هو أخص من الضروري، كما في قول ابن سينا: إن الواجب والممتنع في معنى الضرورة، فذاك ضروري في الوجود، وذا ضروري في العدم"(٧)

وقد استخدم الفارابي كذلك لفظ واجب الوجود للدلالة على الله لأن من كمال الوجود أن يكون واجبًا وليس ممكنًا.

الممكن:

هو الذي يتساوى فيه الوجود والعدم، وهو إحدى مقولات الجهة، ويقابله الممتنع والضروري قال ابن سينا " إن الواجب الوجود هو الموجود الذي متى فرض غير موجود

أو موجودًا، لم يعرض منه محال، والواجب الوجود هو الضروري الوجود، والممكن الوجود هو الذي لا ضرورة فيه بوجه".

وهذا يعني أن الممكن هو الذي يجوز عليه الكون والفساد لأن وجوده ليس من ذاته فهو يتقوم بغيره وكلمة ممكن تعني أنه ممكن أو محتمل الوجود أو العدم فهو لا يملك من الكمال مثل الواجب الذي يعتمد على ذاته دون الحاجة لغيره ويطلق مصطلح ممكن الوجود على الموجودات كلها ماعدا الله الذي هو فقط يستحق كونه واجب الوجود.

أما عن تصور الفارابي للواجب والممكن يتضح لنا من خلال ما يقوله الفارابي " أمور العالم وأحواله نوعان: أحداهما أمور لها أسباب عنها تحدث وبها توجد؛ كالحرارة عن النار وعن الشمس، وكذلك سائر ما أشبههما. والنوع الآخر أمور اتفاقية ليست لها أسباب معلومة؛ كموت إنسان أو حياته عند طلوع الشمس أو غروبها "[٨] فالأمور المعلومة أسبابها يختص بها الممكن أما الأمور الغايبة الاتفاقية فيختص بها واجب الوجود بمفرده لأنه لا يعلم الغيب إلا الله "يذهب الفارابي إلى أن كل موجود فهو إما واجب الوجود أو ممكن الوجود؛ وليس ثم سوى هذين الضربين من الوجود ولما كان كل ممكن لابد أن تتقدم عليه علة تخرجه إلى الوجود؛ وبالنظر إلى أن العلل لا يمكن أن تتسلسل إلى غير نهاية، فلابد لنا من القول بوجود موجود واجب الوجود، لا علة لوجوده، له بذاته الكمال الأسمى وهو بالفعل من جميع جهاته منذ الأزل، قائم بذاته... وهو العلة الأولى لسائر الموجودات".[٩]

وهذا يعني أن عدم إمكان تسلسل الموجودات إلى ما لا نهاية يعتبر أول ما يؤكد على ضرورة وجود (واجب الوجود) وهو الله. والموجودات قسمين إما واجبة الوجود بذاته أو وواجبة بغيرها " إن الموجودات على ضربين: إحداهما إذا أعتبر ذاته لم يجب وجوده، ويسمى ممكن الوجود، والثاني إذا اعتبر ذاته وجب وجوده ويسمى واجب

الوجود، وإن كان ممكن الوجود، إذا فرضناه غير موجود لم يلزم منه محال، فلا غنى بوجوده من علة، وإذا وجب صار واجب الوجود بغيره، فيلزم من هذا أنه كان مما لم يزل ممكن الوجود بذاته واجب الوجود بغيره، وهذا الإمكان إما أن يكون شيئًا فيما لم يزل، وإما أن يكون في وقت دون وقت والأشياء الممكنة لابد من انتهائها إلى شئ واجب هو الموجود الأول".(١٠)

وهذه التفرقة الدقيقة التي قدمها الفارابي تظهر لنا بكل وضوح رغبة الفارابي في تنزيه الذات الألهية أو واجب الوجود بذاته وهو الله عن كل ما عداه من الموجودات مهما كانت رتبتها فهي تتدرج ضمن الممكن.

ويقول الفارابي في الحديث عن الممكن ووجوده وعن العالم والخالق له "الماهية المعلولة لا يمتنع وجودها في ذاتها، وإلا لم توجد، ولا يجب وجودها بذاتها، وإلا لم تكن معلولة، فهي في حد ذاتها ممكنة. وتجب بشرط مبدئها، وتتمتع بشرط لا مبدئها، فهي في حد ذاتها هالكة، ومن الجهة المنسوبة إلى مبدئها واجبة وضرورة، وكل شئ هالك إلا وجهه".(١١)

وربما هذا ينبهنا إلى أن الأشياء لا تحمل في ذاتها قوه بقائها لأن بقاء الأشياء أو وجودها من الأصل مرتبط بإيجاد الواجب لها فالله هو الذي يوجد ويعدم كل موجود وفي هذا الربط بين الممكن والواجب بذاته يفرق الفارابي بين موقف أرسطو في واجب الوجود وممكن الوجود، من جهة وبين الله والعوالم الأخرى من جهة ثانية.

أدلة وجود اللّه عند الفارابي :

استناداً إلى فكرة الواجب والممكن:

" في التدليل على وجود الله يستعير الفارابي من الأفلاطونية الحديثة طريقها فيما يسمى بالجدل النازل والصاعد ويستشهد بأية قرأنية في قوله تعالى " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " فصلت ٥٣ ونص حديثه في: لك أن

تلحظ عالم الخلق فترى فيه آيات الصنعة، ولك أن تعرض عنه، وتلحظ عالم الوجود المحض، وتعلم أنه لابد من وجود الذات، فإن اعتبرت عالم الخلق فأنت صاعد، وإن اعتبرت عالم الوجود المحض فأنت نازل تعرف بالنزول: أن ليس هذا .. ذاك وتعرف بالصعود: أن ليس هذا ..هذا".(١٢)

وهنا يستدل الفارابي على وجود الله بطريقتين إما بالنظر إلى عالم الفكر العالم العلوي عالم الصنعة نزولًا إلى عالم الموجودات وكيف وجد ورتب أو صعوداً من العالم الأرضي إلى عالم الملكوت إذن هناك دليلين على وجود الله عند الفارابي وهذا يعني أن عدم إمكان تسلسل الموجودات إلى ما لا نهاية يعتبر أول ما يؤكد على ضرورة وجود (واجب الوجود) وهو الله.

الدليل الأول:

"أن ننظر إلى المخلوقات إلى ما يسميه هو: بعالم الخلق وهو عالم يأتي بعد عالم الأمر أو عالم الملائكة، وقبل هذا يكون عالم الربوبيه أو عالم الوجود الألهي فتشهد في المخلوقات صنعه تدل على صانع لها وهذا الصانع هو الله تعالى وهذا الدليل هو دليل تصاعدي ننتقل من عالم الخلق الحسي إلى الأعلى وهو عالم الوجود الألهي"(١٣).

وهذا الدليل انتقل فيه الفارابي نقله تشبه الجدل الصاعد عند أفلاطون الذي يبدأ من عالم الحس الذي يساوي المخلوقات عند الفارابي إلى عالم العقل أو المثل وهو يساوي الله عند الفارابي." ومعرفتنا لله من الموجودات التي تصدر عنه ويصدر بعضها عن بعض أوثق من معرفتنا له في ذاته؛ فمن الله الواحد يصدر الكل، وعلمه هو قدرته العظمى"(١٤). وهذا يعني أن الدليل الصاعد لمعرفة الله أقوى من النظر لله في ذاته فعندما نتأمل المخلوقات في تواجدها والطبيعة في ترتيبها ندرك عظمة الله وقدرته فالصنعة في عالم المخلوقات تؤكد على وجود صانع وخالق لها.

أما الدليل الثاني:

أن ننظر إلى الوجود المحض أي إلى الوجود من حيث هو وجود متصل من هذه النظرة إلى أن هناك واجب الوجود لذاته وهوالله تعالى. وهو السبب في وجود الممكن ووجوبه، والممكن هو ما بعد الله من عوالم ....هو عالم الأمر أو الملائكة وعالم الخلق أو المخلوقات وبالأخص الإنسان".(١٥)

وهذا الدليل الثاني على العكس من الدليل الأول لأنه دليل يبدأ من أعلى أي أنه" جدل هابط: حيث يبدأ بالواجب الوجود وينتهي إلى الممكنات ويستخدم الفارابي الآيات القرآنية للتأكيد على ما ذهب إليه في التدليل على وجود الله من خلال دليل صاعد ودليل هابط وعليه فإن الفارابي بهذا قد نجح في الربط بين التصور اليوناني للممكن والواجب والتصور الإسلامي.

وبالتالي " فالواجب الوجود متى فرض غير موجود لزم منه محال، ولا علة لوجوده، ولا يجوز كون وجوده بغيره وهو السبب الأول لوجود الأشياء ويلزم أن يكون وجوده أول وجود، وأن ينزه عن جميع أنحاء النقص. فوجوده إذن تام، ويلزم أن يكون وجود أتم الوجود، ومنزهًا عن العلل مثل المادة والصورة والفعل والغاية".(١٦)

إذن نلاحظ أن الفارابي في تدليله على وجود الله قد فعل مثلما فعل ديكارت الذي أعتمد على الكمال الألهي لإثبات وجود الله لأن وجود الله تام لا نقص فيه لأن الكامل لابد أن يكون قائمًا بذاته وليس متقوم بغيره، وهذا يعني أن الفارابي أيضًا ووفقًا لعقيدته الإسلامية قد نزه الله عن كل صفات النقص التي تتعارض مع كونه واجب الوجود بذاته، وترتب على ذلك أن يصبح الوجود الألهي هو الأول الذي متى فرض أنه غير موجود لزم منه محال فالله لا علة لوجوده لأنه مصدر وخالق لسائر العلل ووجوده متضمن في كماله وذاته.

ولهذا " سعى الفارابي إلى إدراك الله من خلال الوجود الفكري، من خلال الوجود المنطقي الصرف. حيث بدأ الفارابي واعتمادًا على النظر العقلي الخالص في تقسيم الوجود إلى ممكن وواجب بغيره ثم واجب بذاته. ولهذا فقد عرف الله عنده بحسبانه واجب الوجود بالذات، وهو مصطلح لا يخلو من دلالة عقلية خالصة".[١٧]

بدا لنا هنا أن الفارابي أراد أن يوفق بين التصور العقلي اليوناني القائم على فكرة الواجب والممكن والتصور النقلي الذي يعتقده الفارابي بحسب القرأن والسنة، فجعل الله هو واجب الوجود بذاته وما دونه علل ومخلوقات له وهذا لا يتعارض مع التصور الإسلامى لله بإعتباره مؤيس الموجودات عن ليس بحسب الفارابي.

واضح تأثر الفارابي بالفلسفة اليونانية وخصوصًا عند أرسطو عندما تحدث عن الجنس والنوع وغيرها، ولكن في نفس السياق يتحدث الفارابي عن صفات أخرى لله بحسب التصور الإسلامي لها " الموجود الأول هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها وهو برئ من جميع أنحاء النقص وكل ما سواه فليس يخلو من أن يكون فيه شئ من أنحاء النقص إما واحد أو أكثر من واحد ... فوجوده أفضل الوجود وأقدم الوجود ولا يمكن أن يكون وجود أفضل ولا أقدم من وجوده "[١٨]. فالله لا بداية له فهو أذلي دائم قائم بذاته، فهو الوجود الوحيد الكامل والذي لا يشبهه شئ ولا يشبه شئ فليس كمثله شئ كما يقول تعالى عن نفسه الشورى"١١" ليس كمثله شئ وهو السميع البصير".

نظرية الفيض عند الفارابي:

قبل أن نعرض لنظرية الفيض عند الفارابي نتعرف معًا على معنى مصطلح الفيض، فالفيض كما يعرفه الدكتور مراد وهبه في معجمه الفلسفي هو" لغة: كثرة الماء ثم أطلق على الأمور المعنوية مجازًا فقيل فاض الخير، أي ذاع وانتشر واصطلاحًا:

يطلق على فاعل لا يكون إلا دائم الوجود وهو الله أو الواجب الوجود والغاية من هذا الاصطلاح حل إشكالية كيف يعد الكثير عن الواحد. قال الفارابي متى وجد للأول أي الله الوجود الذي هو له لزم ضرورة أن يوجد عنه سائر الموجودات ووجود ما يوجد عنه إنما هو على وجهة فيض وجوده لوجود شئ آخر".(١٩)

الصدور: والصدور نظرية قال بها أفلوطين وأخذ بها الفارابي وابن سينا، تفسر كيفية فيض الموجودات من الواحد أو الأول ويذهب فورمسي إلى أن الفارابي أول من أدخل مذهب الصدور في الفلسفة الإسلامية ".(٢٠)

أما عن نظرية الفيض عند الفارابي فإننا نجد الدكتور أحمد فؤاد الاهواني يقول " أن تسلسل الوجود صدورًا عن الواحد، فإنها نظرية مزج فيها بين فلسفة أفلاطون وأرسطو، وكذلك أفلوطين، فأصبحت النظرية مستقيمة لا تعتمد على أساسين هما الوجود والواحد، بل على أساس واحد مداره أن الوجود هو الواحد، وعن الموجود الأول صدرت جميع الموجودات ".(٢١)

وقبل الغوض في تصور الفارابي للفيض لابد من أن ندرك أن نظرية الفيض نظرية يونانية الأصل وأشهر من تحدث عنها أفلوطين اليوناني لاحقًا " وهذه النظرية اعتمدها الفارابي لتعليل نظرية الخلق، والقديم والأزل وحدوث العالم ... وبنى نظريته على مبادئ ثلاثة: واجب الوجود وممكن الوجود، التعقل علة الوجود تعقل الله والعقول المفارقة، عن الواحد لا يصدر إلا الواحد اللازم عن الأول، وأثبت أن تقدم الخالق على العالم تقدمًا ذاتيًا لا زمنيًا وهو تقدم العلة على المعلول وأن الفيض الإلهي أساس الكون والموجودات بعالميها العلوي والسفلي ".(٢٢)

ولهذا فإنه لا يمكن أن نعتبر أن الفارابي تأثر فيها بالعقيدة الإسلامية على الإطلاق لأن الفيض وصدور الموجودات عن الواحد بهذه الطريقة يعتبر منافيًا لأصول العقيدة الإسلامية التي ترى أن الله خلق العالم بيده ولم يصدر عنه قال تعالى " إن

ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم أستوى على العرش". الأعراف"٥٤" ولو استكملنا تصور الفارابي للفيض نراه يقول: " ويفيض من الأول وجود الثاني فهذا الثاني هو أيضًا جوهر غير متجسم أصلًا ولا هو في مادة. فهو يعقل ذاته ويعقل الأول وليس ما يعقل من ذاته هو شئ غير ذاته، فيما يعقل من الأول يلزم عنه وجود ثالث، وبما هو متجوهر بذاته التي تخصه يلزم عنه وجود السماء الأولى. والثالث أيضًا وجوده لا في مادة وهو بجوهره عقل وهو يعقل ذاته ويعقل الأول، فيما يتجوهر به من ذاته التي تخصه يلزم عنه وجود كرة الكواكب الثابتة. وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود رابع..... وهكذا إلى الوجود الحادي عشر وهذا الحادي عشر عنده ينتهي الوجود الذي لا يحتاج ما يوجد ذلك الوجود إلى مادة وموضوع أصلًا وهي الأشياء المفارقة التي هي في جواهرها عقول ومعقولات".[٢٣]

ويظهر في هذا التسلسل من عملية صدور الموجودات عن الواحد يظهر الأثر الأفلاطوني وخاصة في نظرية المثل باعتبارها موجودات مفارقة، ولهذا فمن الممكن القول أن تصور الفارابي لعملية فيض الموجودات عن الأول هو تصور يوناني خالص لأن الفيض ليس له أصل أو تصور في الإسلام، كما يظهر أيضًا الأثر الأرسطي وخاصة فيما أسماه أرسطو بعالم العقول كما اتفق الفارابي مع أرسطو في القول بوحدة الموجود الأول " وتفيض الموجودات عن الموجود الأول، مثلما تظهر الحرارة من النار ويصدر النور من الشمس ومع ذلك يوجد بينهما مغايرة فإن النور ليس هو الشمس عينها وأن الشمس ليست هي النور نفسه. إلا أن السالكين مذهب وحدة الوجود اعتبروا هذه النظرية منبعًا ومصدرًا لنظريتهم ولمذهبهم، وقد استعمل الفارابي فكرة وحدة الوجود لكي يوضح المناسبة بين الواحد الفرد والكثير".[٢٤]

لكن لم يشرح لنا الفارابي كيف يكون الفيض من الأعلى إلى الأدنى هل بحسب الكمية، كمية الفيض أم بحسب الوقت والزمن بمعنى هل كمية الفيض على الموجود الأقرب إلى الموجود الأول أكبر من تلك التي تكون للموجود الأبعد؟ أم أن الفيض من

الأعلى إلى الأدنى يكون بحسب الزمن يعنى يفيض أولاً على الأعلى ثم يفيض بعد ذلك على الأدنى، فإذا كان كذلك فما الذي يجعل الأعلى مفضل على الأدنى؟!!.طالما أن كمية الفيض ومصدرها واحد. أم أن بعض الموجودات مفضلة على بعضها؟ وإذا كان ذلك كذلك فمتى حدث هذا التفضيل قبل عملية الفيض أم بعدها؟ فإذا كان قبلها فما المعيار الذي قاس به الموجود الأول هذه الأفضلية؟ وإذا كان بعدها فإن عملية الفيض ستكون متساوية في الكمية والزمان وبهذا تنتفي الأفضلية، وبالتالي فأن نظرية الفيض بهذا المعنى تصبح نظرية مشكوك فيها على المستوى العقلي والمنطقي بالإضافة إلى رفض الإسلام لها.

وبعد أن وضح الفارابي الموجودات التي تفيض عن الموجود الأول والتي تتم في ترتيب وترابط محكم يقول " وترتيب الموجودات هو أن تقدم أولاً أخسها ثم الأفضل فالأفضل إلى أن تنتهي إلى أفضلها الذي لا أفضل منه فأخسها المادة الأولى المشتركة والأفضل منها الاسطقسات ثم المعدنية ثم النبات ثم الحيوان غير الناطق ثم الحيوان الناطق وليس بعد الحيوان الناطق أفضل منه ... وهذه الموجودات تترتب أولاً أفضلها ثم الأنقص فالأنقص منها إلى أن ينتهي إلى أنقصها وأفضلها وأكملها الأول ".[٢٥] وعلى ذلك تتباين الموجوات من حيث الكمال والنقص، طبقًا لقربها من الله تعالى أو بعدها عنه فالموجودات القريبة من الله تنعم بالنعيم والروحانية عن تلك البعيدة عن الله.

وعملية الفيض هذه يغلب عليها نزعة الفارابي الصوفية لكنه لم يحدد الفارابي هنا بأي صفة يكون القرب أو البعد عن الموجود الأول، والذي يترتب عليه الكمال أو النقص في عملية الفيض، يعني متى يكون هذا الموجود أقرب إلى الموجود الأول من ذاك، وهل من الممكن أن ينتقل أحد الموجودات من مرتبة أقل إلى مرتبة أعلى؟ وما السبيل لذلك؟ وما هي الوسيلة للوصول إلى هذا، بالإضافة إلى أن عملية الفيض بهذا المعنى تعتبر عملية لا إرادية يعني أن الموجودات فاضت عن الموجود الأول كما يفيض الماء عن النبع أو الحرارة عن النار والضوء عن الشمس، وبالتالي فعملية

الفيض أو الصدور بهذا تتنافى وتتعارض مع الإرادة الإلهية التي تخلق متى تشاء وتفني الموجودات متى تشاء هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن تأثر الفارابي هنا بالفكر اليوناني على العموم، وبفلسفة أفلوطين على الخصوص بشأن عملية الفيض أوقعه في إشكال كبير مع عقيدته الإسلامية التي ترى أن الله هو الخالق لكل موجود متى شاء وأينما شاء ووقتما شاء بكل إرادة وحرية فهو القاهر فوق عباده، ويبدو أن هذا المآخذ من نواتج التوفيق بين الفلسفة والدين.

وبعد العرض لنظرية الفيض نجد الدكتور أحمد فؤاد الأهواني يستكمل حديثه الذي بدأه عن الفيض قائلًا " أن هذه النظرية مشتقة أساسًا من الأفلاطونية المحدثة، وتحل مشكلة المادة القديمة عند أرسطو، لأن الهيولي في هذا المذهب متصلة بوحدة وجود مع الموجود الأول، وهذا يتعارض تمامًا مع الإسلام القائل بالخلق من العدم، وقد رأينا أن الكندي كان أقرب إلى روح الإسلام، حين نادى بالخلق، بل أنه استعمل مصطلحًا أدق من الخلق، وهو الإبداع فلما شاعت فلسفة الفارابي عن طريق مدرسته وعن طريق ابن سينا فيما بعد، لم ينقطع هجوم أهل السنة على الفلاسفة حتى رفع الغزالي لواء الحملة عليهم في تهافته ".[٢٦]

وبأي حال من الأحوال حتى ولو استخدم الفارابي مصطلح الإبداع وقال بأن الله خالق لكن تصوره لفيض الموجودات بهذه الطريقة يتعارض مع العقيدة الإسلامية، وسوف يظهر هذا لاحقاً عندما نقدم انتقاد الغزالي لنظرية الفيض عند الفلاسفة.

العالم عند الفارابي:

لكي نفهم رؤية الفارابي للعالم، وما إذا كان حادث أم قديم، من المهم أن نعرف أن فهم العالم عنده مرتبط بتصور الفارابي لنظرية الفيض التي تأثر فيها بأفلوطين.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن البعض كان يرى أن الفارابي يقول بقدم العالم ومبرره في ذلك هو أن الفيض هذا يعني أن العالم فاض عن الله عندما كان الله. ولما كان الله بلا بداية فالعالم أيضًا ليس له بداية فهو قديم قدم الله، أما البعض الآخر فكانوا يرون أن العالم في تصور الفارابي حادث وإن كان فاض عن الله فهو فاض، بعدما أن أراد الله أن يكون العالم فكان وهذا يعني أن العالم حادث يعني مخلوق لله بطريقة الفيض، وللوقوف على أي الرأيين الأصح نعرض الآن لتصور الفارابي عن العالم كيف نشأ وهل هو حادث أم قديم؟

" إن علاقة الله بالكائنات علاقة العلة بمعلولها، وواجب الوجود معتن بالعالم بواسطة العقل الفعال مدبر لجميع أحواله لا يعزب عنه مثقال حبة من خردل، ولا يفوت عنايته شئ من أجزاء العالم. ويحقق الإنسان لذته بالعودة إلى الله بواسطة العقل والدين".[٢٧] وبناء على ذلك فإن العالم يتبع الله بعلاقة التبعية تابع بمتبوع من خلال العقل الفعال والذي عنده يتوقف فيض الأجرام السماوية ويبدأ فيض الأنفس الأرضية وفي ذلك يجعل الفارابي العالم ملاصق لله "إن العالم على ضوء نظرية الفيض والصدور ملازم لله ملازمة الظل للشخص، ونور الشمس للشمس، وحركة الخاتم لحركة الإصبع، وبهذا نجد الفارابي في غير موضع من مؤلفاته، يؤكد أن الكثرة حادثة لا بزمان تقدم".[٢٨]

وطالما أن العالم قد صدر عن الله بهذه الطريقة وأنه حادث بغير زمان تقدم يعني أنه قديم بقدم الله لأنه لا يمكن تصور أن يكون الله بدون أن يفيض عنه العالم تماماً كما لا يمكن تصور الشمس بدون أن يفيض عنها النور أو تصور الحرارة عن النار فالله عندما كان في غير زمان كان كذلك العالم باعتباره فيض عنه. فالعالم كله صدر عن الله من خلال الفيض " الموجودات كثيرة وهي مع كثرتها متفاضلة وجوهره جوهر يفيض منه كل موجود ... وجوهره أيضًا جوهر إذا فاضت منه الموجودات كلها بترتيب مراتبها حصل عنه لكل موجود قسطه الذي له من الوجود ومرتبته منه ".[٢٩]

فالكل عند الفارابي يصدر عن الله الواحد، ومن تعقله لذاته يصدر العالم. وعند الله منذ الأزل صور الأشياء ومثلها. وأول ما يفيض عنه العقل الأول الذي يحرك الفلك الأكبر، ويأتي بعد هذا العقل، باقي العقول التي تصدر عنها الأجرام السماوية فالعالم فاض عن الله منذ الأزل يعني لا يتقدم الزمان على العالم " واجب الوجود مبدأ كل فيض، وهو ظاهر على ذاته بذاته، فله الكل من حيث لا كثرة فيه، فهو من حيث هو ظاهر، فهو ينال الكل من ذاته، فعلمه بالكل بعد ذاته، وعلمه بذاته نفس ذاته، تكثر علمه بالكل كثرة بعد ذاته، ويتحد الكل بالنسبة إلى ذاته، فهو الكل في وحدة ".[٣٠] فالواحد على ذلك مبدأ ومفيض الكل والعالم في كثرته فائض عنه، وهذا جانب آخر مهم يثبت لنا أن القول بقدم العالم عند الفارابي بحسب الفيض هو الصحيح" فالأول هو مصدر كل وجود "والأول هو الذي عنه وجد ومتى وجد للأول الوجود الذي هو له لزم ضرورة ان يوجد عنه سائر الموجوادت التي وجودها لا بإرادة الانسان واختياره على ما هي عليه من الوجود الذي بعضه مشاهد بالحس وبعضه معلوم بالبرهان ووجود ما يوجد عنه إنما هو على جهة فيض وجوده لوجود شئ آخر".[٣١] وفيض الموجودات عن الأول خاص بالواحد والذي عنه فاض العالم وباقي الموجوات.

وإذا كان الفارابي يرى أن الله سبب أول محدث لكل الموجودات فعليه في هذه الحالة أن يصحح معتقده في نظرية الفيض والصدور، بمعنى أنه إذا كان الله سبب فهذا يقتضي تقدم السبب على المسبب يعني يقتضي تقدم الله في الزمان والوجود والمكان على الموجودات ولما كان الفارابي يقول بالفيض فهذا بلا شك يتعارض مع كون الله متقدم بالزمان عن العالم لأنه يرى أن العالم فاض عن الله فيض مباشر مثل فيضان النور عن الشمس.

فيذهب البعض إلى القول "بأنه عندما يتردد اسم الفارابي عند المحدثين يرتبط عادة بلفظي (فيض، وصدور) وكذلك بلفظ إيجاد ويعتبر عندهم صاحب مذهب حاكى فيه أرسطو من جهة، ومن جهة أخرى أفلوطين القائل بالفيض عن غير إرادة من قبل

الموحد أي أنه حاد عن القول بالإيجاد من العدم المحض بقدرة وإرادة الله سبحانه وتعالى، وهو القول الذي يمثل أصول العقيدة الإسلامية في الخلق والإيجاد خاصة وأنه يستعمل لفظي فيض وصدور في أكثر من موضع من مصنفاته، ويتحدث عن عقول ونفوس يرتبط ذكرها بالموجودات الخارجية أي أن لديه من مظاهر نظرية تفسير الوجود الأرسطية، ونظرية الفيض الأفلوطنية، ما يمكن أن يؤدي إلى فهمه على أنه لا يخرج عنها "[٣٢]. وهذا بالفعل لأن الفارابي في رؤيته الخاصة بصدور الموجودات عن الله كان يحاكي تصور أفلوطين وقبله أرسطو، رغم أن القول بالفيض والصدور بالكيفية التي قال بها أفلوطين كان يتعارض مع التصور الإسلامي في خلق الله للعالم من العدم وهو ما يسمى بالإيجاد من العدم إلا أن الفارابي ورغم أنه يدعى أنه حريص على التوفيق بين هذه الآراء والتصور الإسلامي إلا أنه لم يستطيع أن يفعل هذا بخصوص فيض الموجودات عن الله وخصوصًا أن هذا الفيض والصدور هو فعل لا إرادي يعني ملازم للوجود الألهي، وهذا يؤدي أيضًا إلى القول بقدم العالم وهذا بدوره يعارض التصور الإسلامي.

لكن في المقابل نرى أن البعض يقرأ بعض نصوص الفارابي قراءة مختلفة ويستخلص منها القول بالحدوث وليس بالقدم" ومما دعاهم إلى ذلك الظن أيضًا، ما يذكره في كتاب السماء والعالم " أن الكل ليس له بدء زماني، فيظنون عند ذلك أنه يقول بقدم العالم وليس الأمر كذلك. إذا قد تقدم فبين في ذلك الكتاب وغيره، أن الزمان إنما هو عدد حركة الفلك، وعنه يحدث وما يحدث عن الشئ لا يشتمل ذلك الشئ. ومعنى قوله " إن العالم ليس له بدء زماني" أنه لم يتكون أولاً بأجزائه، فإن أجزائه يتقدم بعضها بعضًا في الزمان، والزمان حادث عن حركة الفلك، فمحال أن يكون لحدوثه بدء زماني. ويصح بذلك أنه إنما يكون عن إبداع البارئ، جل جلاله أياه دفعة بلا زمان، وعن حركته حدث الزمان".[٣٣]

فالمتأمل في النص يلاحظ بعض الغموض إذ كيف يقول أن العالم لا يمكن أن يكون لحدوثه بدء زماني أي قديم وفي نفس الوقت يكون العالم حادث. فلا يمكن الجمع بين القول بالحدوث وفي نفس الوقت القول بوجود العالم بلا زمان ومن الواضح أن هذا اللبث والغموض في موقف الفارابي من العالم سببه هو نفسه لأننا نرأه عندما سئل عن العالم يقول " الكون في الحقيقة هو تركيب ما أو شبيه بالتركيب. والفساد هو انحلال ما أو شبيه بالانحلال ... وكل ما كان تركيبه أو انحلاله بأجزاء أكثر كان تركيبه أو انحلاله في زمان أطول. وكل ما كان من هذين ذا أجزاء أقل كان زمانه في التركيب والانحلال أقصر ... والشئ الواحد لا تركيب فيه ولا انحلال. ولا يجوز التركيب والتحليل إلا في الزمان؛ وللزمان بدء وبدؤه هو الآن المحض. والتحليل والتركيب الذي يحدث بشيئين فقط إنما يكون في الآن المحض ... وأجزاء العالم مركبة من أكثر من اثنين... والعالم بكليته متكون فاسد وكونه وفساده لا في زمان، وأجزاء العالم متكونة فاسدة في زمان ".[٣٤]

فمن خلال هذا النص يميز الفارابي بين كون العالم وفساده ككل وبين تكون وفساد أجزائه العالم ككل لا يجري عليه التغير والفساد كما يجري على أجزاؤه فيكون العالم بكليته قديم في حين تظل أجزاؤه حادثة وهذا ما يفسر لنا كون الواحد لا فساد ولا كون له وقول الفارابي بأن الزمان له بدء وبدؤه الأول تأكيد على نفيه أن يكون للزمان بداية وبالتالي يكون الزمان أزلي أزلية الله طالما أنه إبتداؤه ولكن قول الفارابي بهذا زاد الأمر غموضًا بل وتناقضًا بعد لأنه من المعروف أن ما هو مؤلف يكون حادثًا ولما كان العالم يتألف من أجزاء فإنه يكون حادثًا فلا يعقل أن تكون أجزاءه حادثة في حين يظل العالم قديم فالعالم كله بأجزائه صدر عن الله.

إذن يبدو أن المشكلة التي أوقعت الفارابي في القول بالقدم والتسليم بصدور العالم عن الله بحسب نظرية الفيض تتلخص في محاولته التوفيق بين رأى أرسطو القائل بالقدم ورأي أفلاطون القائل بالحدوث " إن قول أرسطو

بالقدم جاء في معرض فرض افترضه في منطقة، ويصف قول من ادعى عليه ذلك بأنه ظن قبيح مستنكر والسبب هو قول أرسطو في كتاب الطوبيقا إنه قد توجد قضية واحدة بعينها يمكن أن يؤتى على كلا طرفيها قياس من مقدمات زائعة مثال هذا العالم قديم أو ليس بقديم وكان غرض أرسطو هنا بيان القياسات المركبة من المقدمات الذائعة وكذلك قوله في كتاب السماء والعالم من أن الكل ليس له بدء زماني، فظن الناس أنه يقول بالقدم وما كان غرض أرسطو إلا أن يبين أن العالم لم يتكون أولًا فأول بأجزائه، فإن أجزاءه يتقدم بعضها بعضًا في الزمان. والزمان حادث عن حركة الفلك، فمحال أن يكون لحدوثه بدء زماني. ويصح بذلك أنه إنما يكون من إبداع الباري جل جلاله، إياه دفعه بلا زمان، وعن حركته حدث الزمان".[٣٥] وعلى ذلك يحاول الفارابي التوفيق بين رأي الحكيمين ليسلم بالحدوث.

ومن النصوص التي تفيد قوله بالحدوث نصه القائم على نظرية السبب والمسبب والذي ذكره في فصوص الحكم " ولكل حادث سبب) ولكل حادث محدث فيكون اختياره عن سبب اقتضاء ومحدث أحدثه (إما أن يكون هو أو غيره، فإن كان هو نفسه) فأما أن يكون إيجاده للاختيار بالاختيار وهذا يتسلسل إلى غير النهاية، أو يكون وجود الاختيار فيه لا بالاختيار فسيكون محمولًا على ذلك الاختيار من غيره، وينتهي إلى الأسباب الخارجة عنه التي ليست باختياره.... فتبين من كل هذا أن كل كائن من خير وشر يستند إلى الأسباب المنبعثة عن الإرادة الأزلية ".[٣٦] ولما كان الواحد هو السبب الأول لكل ما فاض عنه فلابد أن يسبق المسببات والتي تمثل العالم وجميع المخلوقات وبالتالي فالعالم حادث" إذا كانت الموجودات كلها، في رأي الفارابي، قد فاضت من الواحد (الله)، فلا شك في أنها عند الفارابي محدثة كلها (لأن الله سبب لها وسابق عليها) وإذا كانت الهيولى (المادة الأول) نفسها

تـأتي عنـد الفـارابي فـي أدنـى درجـات الفـيض، فـلا شـك فـي أن الهيـولي أيضًـا محدثـة، ومما يؤيـد الحكـم بـأن العـالم والمـادة نفسـها فـي رأي الفـارابي محـدثان محاولـة الفـارابي للجمـع بـين رأيـي أفلاطـون وأرسـطو فـي قـدم العـالم وحدوثـه "[٣٧]. ولمـا حـاول الفـارابي أن يتجنـب انتقـادات المتكلمـين والفقهـاء فـي القـول بالقـدم لجـأ إلـى القـول بالحـدوث لعلـه يتماشـى فـي ذلـك مـع معتقـده الإسـلامي الـذي ينـادي دائمًـا كـان الله أولاً ولـم يكـن معـه شـئ ثـم كـان ومعـه العـالم فالعـالم كلـه: سـماؤه وأرضـه: فـي رأي الفـارابي: ممكـن وحـادث " فهـو ممكـن لأنـه لا يقـوم بنفسـه، ولا يستمر فـي الوجـود لـولا علتـه: فهـو قـد وجـد فـي علـة، وهـو مستمر فـي الوجـود فـي علـة وهـو حـاث لأن لـه بـدءًا زمانيًـا.... ألـم يقـل " أرسـطو" فـي كتـاب الربوبيـة إن الهيـولي أبـدعها البـارئ لا عـن شـئ، وإنهـا تجسـمت عنـه، وعـن إرادتـه، ثـم ترتبـت في مراتبها.

ألم يقل أيضًا في كتاب السماء والعالم وفي السماع الطبيعي أنه لا يتأنى قط: أن يكون في حدوث العالم، بالبحث والاتفاق والمصادفة، بدليل النظام البديع المتقن المحكم بين أجزائه، يتفق أفلاطون وأرسطو إذن على أن العالم مبدع من غير شئ ويوافقهما الفارابي على ذلك".[٣٨]

ورغم أن البعض يرى إنه يقول بالحدوث لكن الفارابي في الحقيقة لم يستطيع التخلص من الأثر اليوناني فكان تصوره لنظرية فيض العالم عن الله أول خطوة للخروج عن التصور الديني لخلق العالم لأن مجرد الإيمان بالفيض هذا تسليم مبدئي بالقدم فالقول بحدوث العالم وبدايته في الزمان لا يتوافق مع إيمان الفارابي بالفيض والصدور لأنه يرى أن العالم فاض عن الله مباشرة فعندما كان الله كان العالم. "" فحدوث العالم هي كونه مبدعًا من الله مباشرة بمطلق الزمان لا بآناته المنقسمة، ولم يكن قبل العالم زمان لم يخلق الله فيه العالم، ثم بعد انقضاء ذلك الزمان خلق الله العالم، وتلك دلالة واضحة في رأي الحكيم على تأكيد فكرة الإبداع في إيجاد العالم".[٣٩]

الغريب أن الفارابي يريد أن يوافق الشريعة الإسلامية بخصوص حدوث العالم لكنه في نفس الوقت لا يريد أن يتنازل عن موقفه بخصوص الفيض والصدور، وبهذا كان تصور الفارابي عن العالم تصور غامض لكني سوف أتبنى موقفًا واحد وسوف أدعم ذلك بالأدلة وهو القول بأن الفارابي يقول بقدم العالم وليس بالحدوث كما يرى البعض.

ومنذ البداية من الملاحظ أن الفارابي يريد أن يقدم وجهة نظر توفيقيه بحيث لا يخسر أي مؤيد سواء كان من يعتقد بالفلسفة اليونانية أو من يعتقد بالعقيدة الإسلامية ففي الوقت الذي كان الفارابي يعلن في العديد من كتبه أنه يؤمن بعقيدة إسلامية تؤكد على أن العالم فيض من الله وبالتالي فأن الله متقدم على العالم وهذا يدعم التوجه القائل بحدوث العالم، وجدنا الفارابي في المقابل أيضًا يؤيد تصور أرسطو وأفلوطين وهو التوجه الذي يقوم على أن العالم صدر عن الله وفاض فعندما كان الله كان العالم أنه فيض منه وهذا التوجه غلب عليه الاعتقاد بقدم العالم لهذا فأن المشكلة بالنسبة لنا مازالت قائمة حتى وإن كان البعض يرى أنها انتهت بالنسبة للفارابي الذي قال بأن العالم حادث لأن الله هو الذي يفيض ويصدر عنه العالم، لكن في الحقيقة، اعتقد أن الرأي الأصوب هو الذي يرى أن الفارابي من الفلاسفة المسلمين القائلين بالقدم وإن لم يصرح هو بذلك خوفًا من النقد الذي سوف يوجه إليه وخصوصًا أنه يؤمن بالعقيدة الإسلامية التي ترى أن العالم حادث ومخلوق لله.

في ذلك يقول الدكتور فيصل بدير عون " أن الفارابي قد قسم الوجود كله إلى وجود واجب بذاته وهو الوجود الإلهي، ووجود واجب بغيره (كل الموجودات الأخرى). وهذا الوجود الواجب بغيره كان قبل وجوبه ممكنًا، والواجب بذاته كما رأينا واحد، والواجب بغيره متعدد متنوع، وهذا الأخير، الذي كان ممكنًا، لم يحدث عند الفارابي نتيجة خلق من العدم، أو نتيجة إبداع، لم يحدث نتيجة علم وقدرة إلهية وارادة سعت إلى ذلك، وإنما حدث نتيجة فيض آلي أو تلقائي".(٤٠)

وهذا الفيض الآلي والتلقائي يؤكد اعتقاد الفارابي بقدم العالم لأن المرتبط وجوده بقديم فهو قديم ولما كان العالم بكل موجوداته بما فيها العقل الأول الذي فاض عن الله وبدوره فاضت عنه بقية العقول حتى أدنى الموجودات لما كان كل هذه العقول فاضت عن الله وصدرت عنه صدور تلقائي، بمجرد وجوده فهذه الموجودات قديمة أيضًا.

إن إيمان الفارابي بالفيض والصدور عند أفلوطين هذا كفيل أن يجعلنا نسلم بأن الفارابي يؤمن بقدم العالم.

وحتى لو فرضنا أن الفارابي يقول بالحدوث، فإن القول بالحدوث لا يتفق مع فكرة الخلق التي وردت في القرآن الكريم، "فالله حسبما جاء في القرآن خلق السموات والأرض في ستة أيام، أي أن الزمان عنصر هام من عناصر خلق العالم، وكون العالم عند الفارابي قد أبدع دفعة واحدة بلا زمان، وأن وجوده أتى بعد وجود الله بالذات، قريب من القول بأن العالم فاض عن الله كفيض النور عن الشمس، فكما أن النور لازم من لوازم الشمس، فكذلك وجود العالم لازم من لوازم العلة الأولى، ولذا فإن العالم قديم قدم الله".(٤١)

وهكذا أصبح الفارابي من القائلين بقدم العالم رغم أن هناك من يعارض ذلك كما عرضنا لكن الإيمان المطلق بنظرية الفيض والصدور كما جاءت عند أفلوطين وأرسطو تؤكد على قدم العالم عند الفارابي.

الخـاتمـــة

بعد أن تعرفنا على رواية الفارابي للكون والعالم يمكن القول إجمالاً أن الفارابي يعد فيلسوف الإسلام الأول على حد تعبير الدكتور " فيصل بدير عون" وذلك بسبب جهوده الكبيرة في تقديم فلسفة توفيقية تجمع بين أصالة وعمق الفكر الإسلامي وثراء الفلسفة اليونانية، ولهذا فقد كان الفارابي بهذا هو أحد أهم الأقطاب في الفلسفة الإسلامية الذين قدموا تصورًا فريدًا عن الكون والعالم، بما لا يتعارض مع العقيدة الإسلامية وفي نفس الوقت لا يهمل روعة التصور اليوناني، وقد ظهر ذلك من خلال نظريته في الفيض والتي أستقى جوهرها من التصور الأفلوطيني.

أما بخصوص تصوره للوجود فقد كان الفارابي دقيقًا في ذلك حيث بدأ أولًا بتقديم تصور يخص وجود الله وصفاته وقدم عدد من الأدلة للتأكيد على وجود الله لأن هذا هو الطريق الأول لإثبات وجود العالم وحدوثه عن الله، ولهذا بدأ الفارابي بالحديث عن وجود الله من خلال إثبات أنه موجود بالأدلة التي تقدم ذكرها وهذه هي الوسيلة الأولى للحديث عن الله إذ ليس من المنطقي أن نبدأ بالحديث عن العالم قبل الحديث عن خالق هذا العالم وهو الله ثم انتقل بعد ذلك إلى تصور وجود العالم من خلال فيضان هذا العالم عن الله بطريقة تسلسل العقول والانتقال من العقل الأول إلى بقية العقول في حالة من الفيض لأن الموجودات الفائضة تتباين من حيث الكمال والنقص بحسب قربها أو بعدها من الله تعالى، وقد كانت نظرية الفيض بحسب الدكتور الاهواني مشتقة أساسًا من الأفلاطونية المحدثة وتحل مشكلة المادة الأزلية عند أرسطو، لكنه من المهم هنا أن نشير إلى فكرة مهمة وهي أن الفارابي هو بصدق حاول التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر الفلسفي اليوناني وخصوصًا نظرية الفيض لكن السؤال هنا هو هل نجح فعلاً في الإبقاء على تصور العقيدة الإسلامية للعالم دون الخروج عنها؟ والإجابة في تصوري لم يستطيع الفارابي ذلك.

لأنه في الوقت الذي نادى فيه بالفيض لم يحدد لنا زمان أو مكان الفيض بل حتى طريقة الفيض التي ذكرها تظل غير واضحة المعالم، لأن الفيض معناه أن الموجودات ستفيض عند خالقها في نفس اللحظة التي يوجد فيها الخالق وهذا يعني وجود الموجودات في نفس اللحظة التي وجد فيها الخالق وهذا لا يتوافق بأي حال مع العقيدة الإسلامية التي جعلت من العالم مخلوق ضعيف وحادث أمام قدره الخالق اللا محدودة هذا من جانب، ومن جانب آخر لو فرضنا أن الفارابي يقول بأن هناك تدرج في عملية الفيض يعني من عقل إلى عقل فالمشكلة لازالت قائمة لأن العقل الذي يفيض عن الله مباشرة ومن ثم تفيض عنه العقول الآخرى سيكون مساويًا في وجوده لوجود الله وهو في نفس الوقت جزء من العالم المخلوق لله، وهكذا فإن تصور الفيض عند الفارابي لم يكن يؤدي بالمقدمات التي قدمها الفارابي إلى النتيجة التي تتوافق مع العقيدة الإسلامية التي تقول بحدوث العالم، أذن خلاصة القول بخصوص الفيض فإنني أعتقد أنه لو كان الفيض هكذا كما تصوره الفارابي فأن الفارابي من أنصار قدم العالم مهما قدم مبررات لعكس ذلك.

وبالتالي لم يستطيع الفارابي التخلص من الفكر اليوناني الذي يقول بقدم العالم مثل أفلوطين وأرسطو وغيرهم.

الهوامش

(١) فيصل بدير عون: الفلسفة الإسلامية في المشرق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص ١٨٩.

(٢) هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، موسي الصدر عويدات للطباعة والنشر، ص٢٤٣.

(٣) فيصل بدير عون: مرجع سابق، ص٢٤.

(٤) سعيد زايد: نوابغ الفكر العربي "الفارابي"، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٨.

(٥) عباس محمود: أعلام الإسلام " الفارابي"، دار راجياء الكتب العربية، ص١١٥.

(٦) عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الإسلام، ط٢، دار المعارف، ص٢٥٢،٢٥١.

(٧) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص ٥٤١.

(٩) الفارابي: رسالتان فلسفيتان، تحقيق جعفر آل ياسين، ط١،١٩٨٧، دار المناهل، ص٤٩.

(١٠) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٢، لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨، ص١٤٧.

(١٠) سعيد زايد: نوابغ الفكر العربي "الفارابي"، ط٣، دار المعارف، ص٨٣.

(١١) محمد البهني: الموفق والشارح "الفارابي"، ط١، مكتبة وهيبة، القاهرة ،١٩٨١، ص ٧.

(١٢) ابراهيم مدكور: أبو نصر الفارابي في الذكرى الألفية لوفاته ٩٥٠م، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٨٣م، ص٣٦.

(١٣) محمد البهني:الموفق والشارح، مرجع سابق، ص١٠.

(١٤) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ابو ريدة، مرجع سابق، ص١٤٨.

(١٥) المرجع السابق، ص ١٠، ١١.

(١٦) سعيد زايد: نوابغ الفكر العربي " الفارابي"، مرجع سابق، ص٨٣.

(١٧) فيصل بدير عون: الفلسفة الإسلامية في المشرق، مرجع سابق، ص٢٣٨.

(١٨) الفارابي: آراء أهلا لمدينة الفاضلة، ط١،١٩٠٦م، مطبعة السعادة بمحطة مصر، ص٢.

(١٩) مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، ص٤٨١.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٣٧٢.

(٢١) أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، يوليو، ١٩٦٥، ص١٣٩.

(٢٢) الفارابي: فيلسوف الإسلام والمعلم الثاني، حسن نصر الله، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الأيرانية بدمشق، ص٣٠٨.

(٢٣) الفارابي: آراء اهل المدينة الفاضلة، ط١، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر،١٩٠٦، ص٢٦

(٢٤) حسين آناي: الفارابي والحضارة الإسلامية (وقائع مهرجان الفارابي)، ١٩٧٥ بغداد، دار الحرية للطباعة، ص٤٧.

(٢٥) الفارابي: المصدر سابق، ص٢٨.

(٢٦) أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢٧) الفارابي: فيلسوف الإسلام والمعلم الثاني، مصدر سابق، ص٣١١.

(٢٨) جمال المرزوقي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص٨.

(٢٩) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، مصدر سابق، ص٢١.

(٣٠) التوثيق: الفارابي: فصوص الحكم، محمد حسن آل ياسين، مدر سابق، ص٨٥.

(٣١) الفارابي: اراء أهل المدينة الفاضلة، مصدر سابق، ص١٨.

(٣٢) جمال المرزوقي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، مرجع سابق، ص٨٣.

(٣٣) أبو نصر الفارابي: الجمع بين رأيي الحكمين، مصدر سابق، ص ١٠١.

(٣٤) الفارابي: رسالتان فلسفيتان، جعفر آل ياسين، مصدر سابق، ص٨٤.

(٣٥) ابراهيم مدكور: الكتاب التذكاري " أبو نصر الفارابي في الذكري الألفية لوفاته" مرجع سابق، ص١٦٤.

(٣٦) الفارابي: فصوص الحكم، مصدر سابق، ص٩٢.

(٣٧) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ص٣٦٠.

(٣٨) عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفي في الاسلام، مرجع سابق، ص ٢٥٨-٢٥٩

(٣٩) جعفر أل ياسين: فيلسوفان رائدان (الكندي والفارابي) دار الأندلس للطباعة والنشر، ص ١٠٧.

(٤٠) فيصل بدير عون: الفلسفة الإسلامية في المشرق، مرجع سابق، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٤١) سعيد زايد: نوابغ الفكر العربى"الفارابي"، مرجع سابق، ص ٤٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١-الفارابى: **أراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٢-الفارابي: **رسالة في العقل**، تحرير الاب موريس بويج.

٣-الفارابي: **رسالتان فلسفيتان**، تحقيق جعفر آل ياسين، ط١،١٩٨٧، دار المناهل.

٤-الفارابي: **فيلسوف الاسلام والمعلم الثاني**، حسن نصر الله، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الأيرانية بدمشق.

ثانياً: المراجع العربية

١- إبراهيم مدكور: **أبو نصر الفارابي في الذكري الألفية لوفاته** ١٩٥٠م، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٨٣م.

٢- أحمد فؤاد الأهوانى: **المدارس الفلسفية**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، يوليو، ١٩٦٥.

٣- جعفر أل ياسين: **فيلسوفان رائدان (الكندي والفارابي)**، دار الاندلس للطباعة والنشر.

٤- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٥- حسين آناي: **الفارابي والحضارة الاسلامية (وقائع مهرجان الفارابي)**، ١٩٧٥ بغداد، دار الحرية للطباعة.

٦- دي بور: **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط٢، لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨.

٧- سعيد زايد: **نوابغ الفكر العربي "الفارابي"** ، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠١.

٨- عباس محمود: **أعلام الإسلام " الفارابي"**، دار راجياء الكتب العربية.

٩- عبد الحليم محمود: **التفكير الفلسفي في الإسلام**، ط٢، دار المعارف.

١٠- عمر فروخ: **تاريخ الفكر العربي إلى ايام ابن خلدون**.

١١-فيصل بدير عون: **الفلسفة الإسلامية في المشرق**، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

١٢-محمد البهني: **الموفق والشارح "الفارابي"**، ط١، مكتبة وهيبه، القاهرة ،١٩٨١.

١٣-محمد على أبو ريان: **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**، المقدمات العامة- الفرق الاسلامية وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠.

١٤-مراد وهبه: **المعجم الفلسفى**، دار قباء الحديثة.

١٥- هنري كوربان: **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، موسى الصدر عويدات للطباعة والنشر.

١٦- يوسف فرحات: **الفلسفة الإسلامية وأعلامها**، ط١، الشركة الشرقية للمطبوعات، دار ترادكسيم.